

دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في عصر العولمة

عليوة سمية وجابر نصر الدين

جامعة محمد خيضر بسكرة

تمهيد:

تعد ظاهرة التنشئة الاجتماعية من الظواهر القديمة والمستمرة في المجتمع البشري بوجه عام؛ حيث تحرص الجماعات الإنسانية عامة على ترسيخ قيمها ونقل معاييرها وأطرها الثقافية من جيل إلى جيل وتسلك في ذلك مسالك عدة تتشابه وتختلف في بعض جوانبها وفقا لتباين النسق الثقافي والقيمي بين مجتمع وآخر.

المحفوف بالتحديات وقد واجهت المجتمعات الإنسانية بعض المشكلات في تحقيق هذا الهدف الاستراتيجي، ولاسيما في هذا العصر، حيث أضحت مسألة التنشئة الاجتماعية للأبناء أكثر صعوبة وأشد تعقيدا في عصر سقطت فيه الحدود، وزالت فيه عوائق الاتصال بين أطراف الكرة الأرضية وأصبحت عملية مواجهة الغزو الثقافي الوافد أكثر صعوبة في عصر تتسلل فيه المفاهيم والمعلومات من كل المنافذ صانعة منظومة من القيم يُراد لها أن تكتسي طابعا كونيا. والواقع أن سياسة العولمة هذه قد تتماشى مع مجتمعات غربية فقط أو عربية فقط لأنه في هذه الحالة قد تتفق الأنساق القيمية والثقافية، لكن ما تريده العولمة هو محو أو إذابة أي خصوصية مجتمع في مجتمع آخر وقد تمخض عن هذا نتائج سلبية سيما على الصعيد الأسري وسيتضح هذا من خلال مضامين هذه الفقرات.

1. تعريف التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية Social Socialization هي "عملية أساسية يتم بواسطتها نقل التراث الحضاري وخبرات الأجداد وقيمهم وعاداتهم إلى الأحفاد ومنهم إلى الأجيال القادمة إنها وسيلة الاتصال الرئيسة بين الماضي والحاضر والانتقال من الحاضر إلى المستقبل ففيها ومن خلالها وفي نطاق الأسرة يلحق الطفل قيم مجتمعه ومثله وأهدافه وما يعتز به من إنجازات في تاريخه الطويل... فهي في الأساس وظيفة أساسية من وظائف الضبط الاجتماعي. (www.ulum.nl)

أما بارسونز فيعرف التنشئة الاجتماعية بأنها: عبارة عن عملية تعليم تعتمد على

التلقين والمحاكاة، والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية، وهي عملية مستمرة لانهاية لها (جابر نصرالدين/ لوكيا الهاشمي. علم النفس الاجتماعي، ص39).

وبهذا فان التنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعي، يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية ويتمثل ويكتسب المعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية (فؤاد البهي السيد: علم النفس الاجتماعي، ص 102)

مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

المؤسسة الاجتماعية هي كل التنظيمات الاجتماعية المختلفة التي يقيمها المجتمع لتنظيم علاقات الافراد لتحقيق حياة أفضل لهم وتختلف اشكال المؤسسات الاجتماعية باختلاف مجموعة الوظائف التي تقوم بها المؤسسة التي تتداخل فيما بينها (جابر نصرالدين/ لوكيا الهاشمي، علم النفس الاجتماعي، ص: 39)، ولمؤسسات التنشئة الاجتماعية دورها التكاملي في بناء شخصية الفرد ومن أبرز هذه المؤسسات:

- الأسرة: هي الممثلة الأولى للثقافة، وأقوى الجماعات تأثيراً في سلوك الفرد، وهي المدرسة الاجتماعية الأولى للطفل، والعامل الأول في صبغ سلوك الطفل بصبغة اجتماعية، فتشرف على توجيه سلوكه، وتكوين شخصيته (خليل ميخائيل معوض، علم النفس الاجتماعي، ص185)

- المدرسة: هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية، ونقل الثقافة المتطورة وتوفير الظروف المناسبة لنمو الطفل جسدياً وعقلياً وانهجياً واجتماعياً، وتعلم المزيد من المعايير الاجتماعية، والأدوار الاجتماعية.

- دور العبادة: تعمل دور العبادة على تعليم الفرد والجماعة التعاليم والمعايير الدينية التي تمد الفرد بإطار سلوكي معياري، وتنمية الصغير وتوحيد السلوك الاجتماعي، والتقريب بين الطبقات وترجمة التعاليم الدينية إلى سلوك عملي. (www.annaba.org)

- جماعة الأقران: يتلخص دورها في تكوين معايير اجتماعية جديدة وتنمية اتجاهات نفسية جديدة والمساعدة في تحقيق الاستقلال، وإتاحة الفرصة للتجريب، وإشباع

حاجات الفرد للمكانة والانتماء.

- وسائل الإعلام: يتلخص دورها في نشر المعلومات المتنوعة، وإشباع الحاجات النفسية المختلفة ودعم الاتجاهات النفسية وتعزيز القيم والمعتقدات أو تعديلها، والتوافق في المواقف الجديدة.

2. تعريف العولمة:

العولمة في اللغة تعني ببساطة ووضوح جعل الشيء عالمي الانتشار في مدها وتطبيقه. وهي أيضاً العملية التي تقوم من خلالها المؤسسات، سواء التجارية أو غير التجارية، بتطوير تأثير عالمي أو ببدء العمل في نطاق عالمي.. ولا يجب الخلط بين العولمة كترجمة لكلمة globalization الإنجليزية، وبين "التدويل" أو "جعل الشيء دولياً" كترجمة لكلمة internationalization. فإن العولمة عملية اقتصادية في المقام الأول، ثم سياسية، ويتبع ذلك الجوانب الاجتماعية والثقافية وهكذا. أما جعل الشيء دولياً فقد يعني غالباً جعل الشيء مناسباً أو مفهوماً أو في المتناول لمختلف دول العالم.

أيضاً العولمة عملية تحكم وسيطرة ووضع قوانين وروابط، مع إزاحة أسوار وحواجز محددة بين الدول وبعضها البعض؛ وواضح من هذا المعنى أنها عملية لها مميزات وعيوب. أما جعل الشيء دولياً فهو مجهود في الغالب إيجابي صرف، يعمل على تيسير الروابط والسبل بين الدول بالمختلفة (<http://ar.wikipedia.org/wiki/>)

ولقد عرفوا العولمة بتعريف آخر، قالوا: (العولمة اسم شمولي مصطلح للدلالة على حقبة نفوذ تتميز بأدوات أوسع من الأدوات الاقتصادية، تهم الثقافة والحضارة حتى البيئة. مع احتفاظ الاقتصاد بعموده الفقري. ولديها قدرة التأثير على العالم، وذلك بغلبة من الرأسمالية الغربية التي تحتاح العالم وتسيطر على أسواقه المالية والفكرية).

وعرفوا العولمة بتعريف آخر: (العولمة هي الحركة الاجتماعية التي تتضمن انكماش البعدين: الزماني والمكاني، مما يجعل العالم يبدو صغيراً إلى حد يُحتم على البشر التقارب بعضهم من بعض (<http://www.alshirazi.com/compilations/patg/awlame>))

وعرفوها بتعريف وهو: (التداخل الواضح لأمر الاقتصاد والاجتماع والسياسية والثقافة والسلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو انتماء إلى

وطن محدد، أو لدولة معينة، ودون حاجة إلى إجراءات حكومية).

من هذه التعاريف المقدمة حول مفهوم العولمة ندرك ان لها وجهان ,خارجي ويتمثل في العولمة الاقتصادية و هذا هو الهدف الأساسي والظاهر للعيان والذي تنادي به خصوصاً المجتمعات الغربية، أما الوجه الداخلي والمستتر للعولمة فهو الاخطر ألا و هو العولمة السياسية والاجتماعية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معني ,فهي تسعى الي الغاء هوية الشعوب وانصهارها في قرية عالمية لا تحمل بطاقة هويتها والتي تعتبر بمثابة مناعة ذاتية لاي شعب وحكومة ضد التيارات المعاكسة لها, وبالفعل نجحت العولمة الي حد بعيد في تدمير وحرق هذه البطاقة سيما في المجتمعات العربية .

3. المؤسسات الاجتماعية ودورها في التنشئة الاجتماعية في ظل العولمة:

المؤسسات الاجتماعية هي هيئات شكلت لتعبر عن ارادة المجتمع أو الجماعات التي نشأت فيه لمقابلة حاجاتها، فالمؤسسة الاجتماعية تمثل جهود الأفراد والجماعات المنظمة لمقابلة حاجات الانسان سواء أكانت هذه الحاجات مادية أم معنوية، والتي تظهر نتيجة للظروف والعوامل الاجتماعية الموجودة في البيئة.

وكما قلنا انفا ان الأسرة ليست هي المؤسسة الاجتماعية الوحيدة المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية اذ أصبح هناك العديد من المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي تشارك في هذه العملية إلا أنها تظل الأكثر أهمية وتأثيراً خاصة في سنوات الطفولة، ولا شك ان دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية اكتسب أهمية مضاعفة بالنظر إلى عمليات التغير الاجتماعي المتسارع التي شهدتها وما تزال الاقطار العربية، ثم ما تطرحه العولمة على الأمة العربية من تحديات تتعلق بتكوينها وتماسكها، وهويتها الثقافية جعل دور الاسرة في التنشئة الاجتماعية له اهمية اكبر بحكم انها المؤسسة الاولى التي تحتضن الطفل , وتؤكد أهمية الأدوار التقليدية التي يجب أن تقوم بها الأسرة العربية.

وفي عصر العولمة وما يشهده العالم من تطورات هائلة في مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، أصبح العالم أشبه بقرية صغيرة وأصبحت الدول النامية تواجه اشكالية التعايش والتفاعل مع هذا العالم المتغير، من خلال تعليم وتأهيل الانسان القادر على التفاعل الانجابي والتعامل الواعي مع هذه التطورات ومحاولة تحقيق العدالة الصعبة التي تقتضي التعامل مع

تحديات العولمة، وفي الوقت ذاته الحفاظ على الهوية الثقافية لهذه المجتمعات
(www.suhuf.net.sa)

والواقع أن الأسرة العربية تعرضت لانعكاسات سلبية نتيجة هذا التغير الاجتماعي السريع فهي إلى حد الآن منقسمة بين أسر ريفية و أسر حضرية وكلا الاسرتين وسائلها او اساليبها في التنشئة الاجتماعية مختلفة وهذا نتيجة للبيئة الثقافية و الجماعة المرجعية التي تحكمها وبفعل هذا التغير في التنمية الاجتماعية فالأسرة الريفية شهدت نزوحا إلى المدن وبذلك مس التغير كيان هذه الاسر من جميع جوانبها، حيث أضحت ضعيفة و ادوارا تغيرت لمجاهاة متطلبات الحياة الحضرية ووظائفها انحسرت لقيام مؤسسات تربوية بديلة سحبت منها معظم تلك الوظائف(www.ejtemay.com).

في مثل هذه الظروف الحياتية والمغايرة تماما لطبيعة الحياة الريفية أصبح البحث عن الإنجاز الشخصي وتحقيق مستوى وتحقيق مستوى اقتصادي واجتماعي متميز من قبل الوالدين مماثلا في أهميته أن لم يفق أهمية رعاية الابناء والقيام تنشئتهم التنشئة السليمة ومن الطبيعي أن ينحسر دور الاسرة في التنشئة الاجتماعية للأبناء، ففقدوم المولود يعني التفكير في المربية ووجود المراهق يعني التذمر والتنافر، وهكذا حلت دور الحضانة والمربيات والشوارع ودور الرعاية والملاحظة، وحتى السجون كبداية للأسرة تقوم نيابة عنها في تنفيذ هذه المهمة التربوية الجسيمة.

فمثل هذه الظروف الحياتية الصعبة والتي خلفتها العولمة، والتي كان هدفها الاول والاخير انصهار كل المجتمعات في بوتقة واحدة والغاء كيان أي مجتمع، بمعنى ان المجتمع العربي الاسلامي هو الذي سينصهر ويضمحل كيانه الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي وهويته الثقافية في المجتمع الغربي، وليس العكس فالغرب لا ولن ينصهر في مجتمع اسلامي لأنه يمثل القوة ونتيجة لهذا التغير الاجتماعي أدت إلى اضطرابات على جميع الاصعدة والمناحي ومؤسسات التنشئة الاجتماعية لم تسلم من هذا الاضطراب وسنورد هذه التغيرات بداية من:

❖ الأسرة:

الحياة الحضرية أدت إلى اضطرابات أسرية انعكست سلبا على التنشئة الاجتماعية، وتتجسد تلك الاضطرابات أولا في علاقة الوالدين ببعضهما ومنها: الخلافات، الزواج غير

الموفق، الخيانة الزوجية عدم التكافؤ بينهما ثقافيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا، الانفصال أو الطلاق أو الهجر وظاهرة أخرى حلت بمجتمعاتنا وهي ما كان يسعى إليها الغرب حقا من خلال العولمة، وهو إلغاء مفهوم الزواج وإحلال مكانه مصطلح الشريك، بمعنى أن المرأة والرجل بإمكانهما العيش مع بعضهما دون تحمل تبعات ومسؤوليات الزواج، وحتى الإنجاب ممكن في هذه الحالات. فالغرب يحاول أن يوصل ويغرس فكرة في أذهان الشباب العربي والإسلامي خاصة، انه بإمكانه ان يشارك الآخر ودون قيد ،وبهذا انتشرت الخيانة الزوجية والزواج الثاني الذي ينتج عنه مشكلات متعلقة بأسلوب التربية ومشكلات أخلاقية ناشئة عن هذا التغير المفاجئ في حياة الأطفال ومنها التضارب في الاهتمامات، الغياب الطويل عن البيت، وخاصة عمل الأم الذي يشجعه مجتمعنا الحديث، ويعتبره ضروري لتدعيم الأسرة ماديا، مما يترتب عنه غياب مصدر العطف والتوجيه لفترة طويلة ويضاف إلى ذلك تبعات العمل التي تحملها الأم إلى بيتها(تعب، نفرة ومشكلات العمل...) وهذا هو لواقع الجديد للحياة الأسرية بالإضافة إلى تدني المستوى الاقتصادي وانحراف معايير الأسرة الاجتماعية، وعدم الاستقرار والتنقل المستمر سعيا وراء لقمة العيش كلها أسهمت في تقليص دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية وأصبحت تشكل تهديد لها.

❖ جماعة الرفاق:

وفيما يتعلق بجماعة الرفاق كأحد وسائط التنشئة الاجتماعية أصبحت الأسرة عاجزة عن تحديد طبيعة رفقة أفرادها نظرا لاتساع نطاق المدينة، وقدرة الأبناء على التحرر من رقابتها وانشغال الوالدين في مجارة السلوك الاستهلاكي المستمر لهؤلاء البناء لانهم لم ولن يكتفوا بالقليل أو النوع القديم لاي شيء. هذا أضعف في قدرة الأسرة على الضبط الاجتماعي مما جعل من الرفقة مصدر التنشئة الاجتماعية السليمة خاصة إذا ما وقع الأبناء في شرك صحبة.

❖ المسجد والمؤسسات الدينية:

أما المسجد فقد انحسر دوره في التنشئة الاجتماعية نتيجة انشغال الأب عن الأسرة في أغلب الأوقات، حيث كان في الماضي قدوة حسنة لأبنائه في ارتياد المسجد ويصحبهم إليه. وهذا الانحسار في الدور التربوي للمسجد يعد واحدا من أهم التحديات المعاصرة لعملية

التنشئة الاجتماعية.

❖ المدرسة:

وبالنسبة للمدرسة نجد أنها أخذت تنحى اليوم منحى تعليميا أكثر منه تربويا مما يهدد بتمرد على القيم الاجتماعية من قبل الدارسين بها. كذلك أدى انعدام التواصل والتعاون بين المدرسة والأهل إلى سوء التوافق المدرسي للطالب، الأمر الذي قد يكون مصدرا للانحراف والسلوك السليبي.

❖ وسائل الاعلام:

انتشر استخدام التلفزيون في البلاد العربية، بل بات يمثل وسيلة اساسية للترفيه والتثقيف والتعلم والتنشئة الاجتماعية وهناك العديد من الدراسات العربية التي بحثت في الآثار الايجابية والسلبية للتلفزيون على التنشئة الاجتماعية، وعلى دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، والتفاعل الاجتماعي داخلها.

وتشير أحدث التقارير إلى أن أطفال ما قبل المدرسة في أمريكا يمضون أكثر من ثلث ساعات يقظتهم في مشاهدة التلفزيون، ورغم عدم وجود احصاءات مماثلة في البلاد العربية إلا ان كل الدلائل قد ترجح ان الاطفال العرب لا يختلفون عن الاطفال الأمريكيين في ساعات المشاهدة، خاصة مع تعدد وتنوع قنوات البث التلفزيوني(www.suhuf.net.sa).

والشاهد ان العولمة تطرح وسائل جديدة واشكالا ومضامين اعلامية جديدة على الأسرة العربية، فقد اتاحت تكنولوجيا الاتصال امكانية تعرض الأسرة العربية للبث عبر الأقمار الصناعية، وازدحمت السماوات بالفضائيات العربية والأجنبية والتي تبث برامج ومضامين واعلانات مغايرة للثقافة العربية ولقواعد السلوك والأخلاق السائدة.

ورغم ما يتيح التدفق الاعلامي والمعلوماتي لأفراد الأسرة العربية من فرص للتعرف على العالم الخارجي والتعلم واكتساب خبرات جديدة، إلا أن هناك عددا من المخاطر والتحديات ترتبط اساساً بما يبث عبر الفضائيات العربية والأجنبية هي البرامج والمضامين والاعلانات المستوردة من الخارج، كذلك فان العاب الاطفال الالكترونية مستوردة، والثابت ان البرامج والمضامين وألعاب الأطفال المستوردة تتوافر فيها عناصر الجودة الفنية والابهار مما

يجعلها تحظى بنسب مشاهدة مرتفعة اذا ما قورنت بالبرامج المنتجة محلياً أو عربياً لكن البرامج والمضامين المستوردة تحفل بالعنف والاثارة والجريمة، الأمر الذي يعني ان الأطفال داخل الأسرة العربية يتعرضون خلال ساعات المشاهدة لأفكار وقيم وتقاليد بعيدة عن الواقع العربي والثقافة العربية، مما ينتج عنه نوع من الازدواجية والتناقض بين واقعهم المعاش وبين الواقع المتخيل أو المنقول لهم عبر شاشات التلفزيون ومن قنوات عربية أو أجنبية (www.suhuf.net.sa). ولا شك أن فيض الأفكار والصور والرموز المرتبطة بثقافات غير عربية والذي يصل للصغار عبر التلفزيون لن يدعم من عملية التنشئة الاجتماعية التي يقوم بها الوالدان، بل سيمثل عوامل تهديد وخطر.

على مستوى آخر فإن كثرة استخدام الأطفال للتلفزيون والفيديو سواء للمشاهدة أو اللعب تؤدي إلى ضعف التفاعل الاجتماعي بين الطفل ووالديه، بل بين الطفل نفسه وإخوانه وإخواته، وطوال العقدين الماضيين تراكمت الأدلة على وجود علاقة بين المشاهدة التلفزيونية والتحصيل الدراسي، فكلما زادت مشاهدة الأطفال للتلفزيون، انخفض تحصيلهم الدراسي، كما كان للتلفزيون تأثير سلبي على تبادل الأحاديث والتفاعل بين أفراد الأسرة، ولعب التلفزيون دوراً مهماً في تفكيك الأسرة الأمريكية من خلال تأثيره في العلاقات الأسرية، وتسهيله انسحاب الأبوين من القيام بدور فعال في التنشئة الاجتماعية لأطفالهم.

وربما يختلف تأثير استخدام الكمبيوتر والانترنت عن التلفزيون أو الفيديو فإلعاب وبرامج الكمبيوتر معظمها مستوردة، وتعتمد على صور ورموز ودلالات تنتمي للثقافة الغربية، كما تفيض بالعنف وتعلي من شأن القوة، ومن قيم الاستهلاك والروح الفردية كذلك الحال بالنسبة لمواقع شبكة الانترنت، والتي ينتشر فيها كثير من المواقع الاباحية، كما تقدم فيضا من المعلومات والآراء والتي قد لا تتفق وأسس ومقومات الثقافة العربية الإسلامية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعود استخدام الانترنت افرزت ظاهرة مدمني الانترنت الذين لا يستطيعون الاستغناء عن الانترنت، ويدركون الواقع الفعلي ويتعاملون معه من خلال الصور والأدوار التخيلية التي تفرضها عليهم شبكة الانترنت، والأهم من ذلك ان الاطفال والمراهقين يطلعون على معلومات وصور اباحية لا تتناسب ونموهم العضوي والعقلي والعاطفي، وهو ما يشكل صدمة شعورية تتطلب رعاية تربوية ونفسية خاصة.

❖ خاتمة

إن الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والمسجد والجامعة تمثل أهم الأنساق الاجتماعية المنوط بها مسألة التنشئة الاجتماعية وتساعد على تشكيل الهوية الثقافية للمجتمع المتميز، حيث يصبح المجتمع ذا هيكلية ثقافية تعيش في دواخلنا وتسيطر على سلوكنا من خلال تحديد أبعاد ثقافية تتحكم بتصرفاتنا وأفعالنا في مختلف الأزمنة والأمكنة. لكن التحدي العالمي المتمثل بالعولمة بأبعادها الثقافية والاقتصادية والسياسية والإعلامية وبوسائلها المختلفة تهدد تلك الأنساق بصورة تحمل معها أعمق الآثار السلبية المتوقعة على الخصائص الوطنية والمحلية مما يؤثر على قدرة المجتمعات والدول على تشكيل أبعادها الفكرية وخصائصها الوطنية لدى أجيالها الناشئة. وبتأثير ثورة المعلومات تلك فإن المجتمعات تفقد خصوصيتها شيئاً فشيئاً في عملية ذوبان في ثقافة الآخر تهدد الكيانات السياسية للمجتمعات الأقل تقدماً مما يجعل تلك المجتمعات تندمج في مجتمع عالمي يهيمن فيه القوي على الضعيف لذلك لا بد من وضع استراتيجيات وخطط ذكية للحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع العربي الاسلامي وفي نفس الوقت مواكبة هذا التغير ولكن لا بد من توفر الايجابية في هذا التغير.

❖ المصادر والمراجع

1. جابر نصر الدين / لوكيا الهاشمي: علم النفس الاجتماعي، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، جامعة منتوري، جامعة، قسنطينة، عين مليلة (الجزائر): دار الهدي للطباعة والنشر، ص39
2. فؤاد البهي السيد، علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة، دار الفكر العربي، 1999
3. خليل ميخائيل معوض، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ط2، 1999
4. www.ulum.nl
5. www.annaba.org
6. <http://ar.wikipedia.org/wiki>
7. <http://www.alshirazi.com/compilations/patq/awlame>
8. www.suhuf.net.sa